بائعـــةُ الجَرجـير
Watercress seller

اقعدها البرد والظلام حتى الصباح .. رآها المارة في الصباح الباكر، ممددة على قارعة الطريق لا حراك فيها، يكسوها الثلج .. بينما الرِّياحُ ألقت قفتها بعيدًا عنها في قارعة الطريق ....!!

بائعة الجرجير

حملت قفة الجرجير، وخرجت من البيت، يوم الجمعة الساعة التاسعة صباحًا .. جلستْ القُرفصاء واضعة قفتها التي رصت رُبط الجرجير الأخضر اليانع رصًا مبهرًا وجذابًا؛ ليقبل عليه كل من يمر في ذلك الصباح ..

كانت تجلس عند دكان وسط الحارة في الشارع العام، قالت لها أمها :

. انتبهي يا سعدية للجرجير، ومفيش حد يضحك عليكِ .. ولمي الفلوس وأوعي حد يسرقك، عايزين الفلوس، علشان ندفع لأخيك فلوس الدرس، أحسن المدرس فضحنا يا بنتي، كل يوم يضرب أخاكِ، ويبعت لينا مرسال ..

وافقت سعدية أمها ونادت على الجرجير بأعلى صوتها :

الجرجير الأخضر.. الورور .

أقبل عليها المشترون، نساء، وأطفال، وشباب، ورجال .

. بكم رابطة الجرجير يا بنت، ناداها الأفندي .

. الرابطة بنص جنيه .. يا أفندي .

. ما تديني ٣ ربط بجنيه .. إيه رأيك ؟

. حاضر.. ياسدنا الأفندي ..

كان الأفندي بركات .. ينظر إلى الفتاة نظرات الطامع في وجهها الصبوح، قائلاً:

. اسمك إيه يا عروسه؟ ..

. عروسة !!! .. إنت عايز إيه يا أفندي؟ هات الجنيه .. وخد الجرجير.. واكشفنا ..أنا مش فاضية .

وكأنما أدركت الفتاة ما دار بخلد الأفندي بإدراك الأنثى التي لا تُخطيء الإدراك والظن .

نظر إليها بغيظ، وأدار ظهره وراح لحال سبيله حتى ابتلعته الحاره بين بيوتها القديمة.

. مالك يا سعدية ؟ .. بتهبي في الأفندي كده ليه !!!

. يا أخت ما أنت شايفاه .. عمال يتغمز .. ويبحلقلي بعينه إلّي تنفخت .

ضحكت زينب .. وربتت على كتفها وهي قائمة، قائلة :

. والله كبرتي يا سعدية .. وفهمتِ الرجالة .

بينما سعدية منهمكة مع زينب في الحديث، وحرصها الشديد على بيع الجرجير، وجمع النقود والحفاظ عليها لدفعها لمدرس أخيها أحمد الذي كان يأخذ درسًا عنده .. مرَّرجل يحمل فوق ظهره صندوقًا طويلاً من الخشب والذي تكسوه كسوة من القماش .. ووقف في الميدان ونصب الصندوق الطويل وتدثر داخله، وأخرج منه دميتين، دمية فتاة .. والأخرى دمية شاب يلبس طرطورًا ملونًا عليه بعض النقوش الصبيانية، بدأ الفتى يحدث الفتاة بكلام غزل ناعم، وتتكسر له الفتاة في دلال، وقد احتدم صراع الحب بين أبي عرقوص والفتاة .. وكأنما هي ملحمة عنترة وعبلة، أو ملحمة هُوميروس .. أصوات رنانة وحوار ساخن .. التف الأولاد حلقات حول (أبو عرقوص) ينظرون إليه متأملين، متسائلين كيف يحرك طرطوره؟ ويتكلم وهو طول الثلاثة أصبع فقط، ويقبل على عبلة وهي تهرب منه وتتكسر له في دلال الأنثى المفعمة بالحب والدلال .

جذبت سعدية الفُرجةُ .. فنهضت وتركت قفتها وما بها من جرجير أخضر يانع، مطمئنة نفسها بأنها ستعود بسرعة .. وحينما أقبلت وانضمت في الدوائر الملتفة حول أبي عرقوص مثل بقية الأطفال، أقبلت ترى وتشاهد وتسمع وتتمتع بأبي عرقوص .. وجذبها الصوت

والغناء وضرب الصيجان، وتكسر الفتاة له .. نسيت قفتها وجرجيرها الأخضر اليانع، بينما هي كذلك، أقبل شاب يركب حماره القمن، وقف هو الآخر ينظر ويتابع المشهد الدرامي لأبي عرقوص والفتاة المتكسرة، فاغرًا فاه ضاحكةً عيناه ..

جذبه المشهد فنزل عن حماره وأقبل وبيده عصاه (النكد) التي إن حرن حماره أشبعه بها ضربًا، اندس بين الأطفال يسمع ويشاهد عن قرب، مصدقًا ذلك وكأنه مشهد حقيقي وأن أبا عرقوص شخصية حقيقية قد سخطها الله، فهي تتحدث وتغني وتتحرك .. نسي حماره .. كما نسيت سعدية قفتها وما بها من رُبط الجرجير الأخضر اليانع .. فما كان من الحمار إلا أن تحرك بحرية مطلقة، وأخذ يشمشم في الأرض يبحث عن عشب ذابل أو جاف ملقًى على الأرض؛ ليطعمه، وهو في شمشمته وصل إلى قفة سعدية، وما بها من جرجير أخضر يانع، فغافل الواقفين، ودس رأسه في القفة يأكل الجرجيرَ مغمغمًا، وظل يأكل ويأكل، حتى جاء على آخره وشبع تمامًا .. فما كان منه إلا أن نهق عدة نهقات متواليات .. وكأنما أراد أن يُعَبِّرَ عن فرحه، ليس لمشاهدة أبي عرقوص، وإنما لشبعه وامتلاء بطنه تمامًا .. هنا توقف (أبوعرقوص) وانتهت الرواية، فخرج الرجل المندس داخل الصندوق الخشبي الطويل الممتد، وأطبق أضلاع الصندوق، بعدما أدخل (أبا عرقوص)وفتاته داخله، وحمله على ظهره وساروتفرق الجمع .. وتبعه بعض الصبية والفتيات لعرض المسرحية في مكان آخر...

عادت سعدية إلى قفتها فوجدتها فارغة تمامًا من الجرجير.. وركب الشاب حماره وتبع (أبا عرقوص) يحلم بقصة المسرحية متمتعًا بما رآه، كما تمتع حماره بأكل الجرجير الأخضر اليانع، كان يهز رجليه وهو راكب حماره القمن مبتسمًا هاشًا، كما كان حماره فرحًا منتشيًا متحركًا غير متباطئ .. !!

بينما سعدية تكورتْ على نفسها، ووضعتْ رأسها بين ركبتيها، فقد

ضاعَ حلم أمها، ولم يأخذ المدرس ما له، ولسوف يرسل المراسيل، ويفضحهم لعدم تسديد فلوس الدرس، لعنتْ أبا عرقوص، كما لعنت فتاته .. وظلت قابعةً لا تكلم أحدًا، حتى غَشِيَ الظلامُ القرية، ونامتْ وكلما مَرَّ الناسُ نظروا إليها مشفقين .. اقعدها البرد والظلام حتى الصباح .. رآها المارة في الصباح الباكر، ممددة على قارعة الطريق لا حراك فيها، يكسوها الثلج .. بينما الرِّياحُ ألقت قفتها بعيدًا عنها في قارعة الطريق ....!!